الزمان – السنة العشرون العدد 5940-5941 السبت – الاحد 3 من جمادى الأولى 1439 هـ 20-21 من كانون الثاني (يناير) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/20.Issue 5940-5941 Saturday - Sunday 20-21/1/2018

نصوص | ضمد كاظم وسمي في قصيدة بعنوان أسماء الملاح وهاشم الكعبي وسط الضباب في قصيدة نثرية فيما نقرأ لعبد الزهرة المنشداوي قصة قصيرة بعنوان قطيع كلاب شرسة

اضواء | وجدان عبد العزيز يكتب عن أسرار المعطف الأبيض وشكر حاجم الصالحي تستفزه عاصفة في الكون كما تطالعنا شهوة ميت في ذمة حي

فنون | فائز جواد يتابع مهرجان المسرح العربي في تونس ووسام قصي يستعرض ورشة لتعليم الرسم لأيتام عراقيين

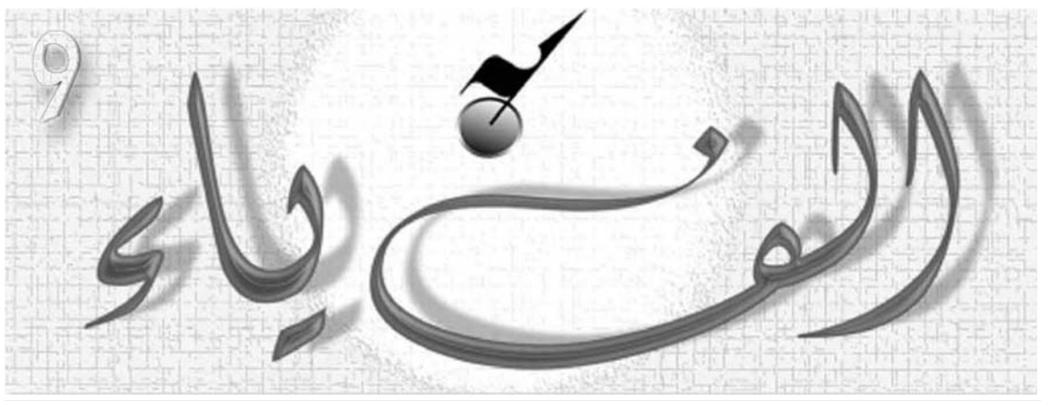

رقة الشعر إزاء قسوة الجلاد

جوزيف برودسكي يحاكم بتهمة التبَّطُل

شكيب كاظم
بغداد

منذ سنوات بعيدات، قرأت مقالة للكاتب المصري اليساري رجاء النقاش (1934–2008) في كتابه أدباء ومواقف وكان يسوّغ التوجه الستاليني الجدانوفي إزاء الإبداع والفكر والأدب، يروي النقاش في مقالته تلك، إن أديباً شاباً أصدر ديوان شعر في الحب والغزل، فأهدى نسخة منه إلى الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين (1878–1953) فوبخه ستالين – كما يفاخر النقاش ويزهو– وقال له: كان يجب عليك طبع نسختين من كتابك هذا نسخة لك ونسخة لحبيبتك، فالعمال والفلاحون والجنود، ليسوا بحاجة إلى هذا الهراء الغزلي الذاتي، تذكرت هذه المروية وأنا أقرأ كتاب محاكمة برودسكي الذي تولى نقله للعربية الكاتب العراقي المقيم في باريس الدكتور شاكر نوري وتولت نشر طبعته الأولى سنة 2017 دار سطور للنشر والتوزيع ببغداد، ولأنني على دراية بمأساة الشاعر الرقيق، جوزيف برودسكي، هذا الشاعر المولود في مدينة بطرس بيرغ عام 1940 الذي تعرض لمحاكمة صورية بشعة تعيد لنا قسوة محاكم التفتيش أيام سطوة الكنيسة على مقاليد الأمور في أوربة العصر الوسيط والمجالس العرفية ومحاكم الثورة وأمن الدولة في دول الراديكاليات العربية، التي استعارت النهج السوفياتي في الحكم وأن لاحرية لأعداء الشعب، وتحت سطوة هذا الشعار الإقصائي ارتكبت افظع الجرائم، ألم يقل كبيرهم الذي علمهم السحر في خطاب له عشية الاحتفال بيوم العمال العالمي في 1/5/ 1963وكان نائباً لرئيس وزراء العراق علي صالح السعدي. لا بل يصرخ: سحقاً للرجعية حتى العظم.

الخوف من الأخ الكبير

كنت على دراية بمأساة هذا الشاعر الذي حاول الخروج، على مسطرة الحزب والثورة البروليناريا، فقدموه للمحاكمة بحجة التبطل وعدم الإنتاج والعمل، وإذ يسأله القاضي المدجج إما بالخوف من الأخ الأكبر أو المدجج بالايدلوجيا، لماذا لا تعمل، ومن أين تأكل وتكسب رزقك وماهي مهنتك؟

فيجيبه برودسكي: اكتب القصائد وأقوم ببعض الترجمات.

– ماهو اختصاصك بصورة عامة؟

يجيبه برودسكي إني شاعر ومترجم.

انتاج شعر

ولأن القاضي الجاهل أو المتجاهل، لا يعرف ان إنتاج الشعر والكتابة مواهب لا علاقة لها البتة بالدراسة، يسأله أنك لم تحاول إكمال دراستك؟ فيفحمه برودسكي الشاب المثقف تثقيفاً ذاتياً والذي تعلم أكثر من لغة ومنها البولونية كي يترجم عنها، ويكسب رزق عيشه يخرسه برودسكي بإجابته:

– لم أفكر بأن هذا الشي يمكن تعلمه على مقاعد الدراسة!.

وإذ تعرض محاميته على المحكمة، ضرورة عرضه على مصحة نفسية كي يكون مرضه سبباً موجباً في صدور حكم مخفف، فإن أطباء النفس بدل أن يعالجوه ويزودوه بتقرير طبي يحدد حالته، يعذبونه ابشع تعذيب، وتُلقى عليه مواعظ في الادلجة وغسل الدماغ. المصحة النفسية، التي وصف برودسكي قساوتها وعنتها له، تقرر سلامته العقلية، لأنها حتى لو كانت واثقة من مرضه فإنها تخاف الأخ الأكبر الذي يحصي الحركات والسكنات، كما أن هؤلاء الأطباء كانوا يزرقونه بأبر مهدئة مريعة، ويوقظونه في ساعة متأخرة من الليل، ويضعونه في وعاء كبير بانيو ماؤه قارس البرد، ثم يلفونه بمنشفة رطبة ويضعونه بجوار مدفأة كي يجف جلده ويتشقق. تراجع ص104.

لم يفعل برودسكي شيئاً، بل أراد ان يغرد خارج السرب الخائف والمؤدلج، أراد ان يقول شيئاً قالته أنا اخماتوفا أو مايكوفسكي أو بيلنسكي أو بوريس باسترناك أو الشاعر يفجيني ايفتوشنكو أو الروائيي سولجنتسين.

شهود المحكمة

كانت المحكمة تأتي بشهود من العمال، بوصفهم شهود إثبات للشهادة ضده، وهؤلاء بينهم وبين الكتابة فراسخ من الجهالة ويعترفون أمام المحكمة أنهم لم يقرأوا له شيئاً احتقاراً لما كتب!.

وهؤلاء الشهود يعيدون للذاكرة، هذا الذي طعن الروائي نجيب محفوظ، طعنة أعاقته جسدياً ونفسياً وإن لم تقتله، وعجلت بموته، أو ما فعله الجهال برواية السمّاء الثامنة للروائي والمترجم الجزائري أمين الزاوي، وإذ يحال المتهم إلى المحاكمة يسأله القاضي لماذا طعنت نجيباً، فيجيبه لأنه كافر، يسأله القاضي كيف عرفت بكفره، هل قرأت شيئاً من كتبه تدل على كفره؟ فيأتي الجواب الجاهل البليد، أنا لم اقرأ أياً من كتبه، لأنني أمي لا أقرأ ولا أكتب!.

فضلاً عن أن اتحاد الكتاب السوفييت لم يدافع عنه، ويتركه يواجه مصيره وحده

ظلم الإنسان

لقد أصدرت المحكمة، وقد تلقت رأي المصحة النفسية، بسلامته العقلية والنفسية، أصدرت المحكمة قرارها بسجنه خمس سنوات مع الأشغال الشاقة في سيبريا، وبدل أن يدافعوا عنه، فإن بعضاً من هؤلاء المؤدلجين كانوا يصرحون بأن المحكمة كانت متعاطفة معه، وكان يجب ان يحكم عليه بعشر سنوات أو بإعدام هذا المتطفل الاجتماعي الذي يحيا على هامش المجتمع!. هو الذي شوهد يجالس بعض الأجانب ولاسيما الأمريكيين في بعض المقاهي! وهذا من أشد الدلائل الجرمية.

هذا المتطفل، سيطلق سراحه بعد أشهر، ثم يغادر وطنه سنة 1972 وتمنحه الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب سنة 1987 وليغادر برودسكي الحياة في 28/ من كانون الثاني/ 1996ويدفن –حسب وصيته– في مقبرة المنفيين في جزيرة القديس ميكائيل بمدينة البندقية، إلى جوار عدد من كبار المبدعين لعل من أشهرهم الشاعر المثير للجدل عزرا باوند.

أما كيف حصلنا نحن القراء بالعربية على وقائع هذه المحاكمة المدوية وتفصيلاتها وتداعياتها؟ أنا الذي كنت على إطلاع بمجريات هذه القضية وإن بشكل يسير وكتبت عنها مقالة في 6/4/ 2009نشرها الملحق الثقافي لجريدة التآخي عنوانها الجلاد.. ورقة الشعر. تلك الأدوار الصعبة، تلك العذابات المرة فيوضحها المترجم شاكر نوري ولعل المصادفة وحدها، كانت وراء العثور على تفاصيل قضية شغلت الرأي العام، وحرية القول والتعبير التي حاولوا وأدها بحجة التبطل والتطفل الاجتماعي، وكأنهم موكلون بحياة الناس وكيف يحيون وكيف يكتبون؟.الدكتور شاكر نوري يحدثنا، أنه في أحد الأيام وهو يجول على المكتبات الصغيرة المحاذية لنهر السين بباريس عثر مصادفة على كتاب مترجم عنوانه برودسكي أو محاكمة شاعر، فيلتقطه ويدلف لمقهى قريب يطالع هذا الكتاب الوثائقي المهم، إذ ذاك تتحرك في خاطره فكرة ان يترجمه.

قضية اشكالية

ففي الكتاب قضية إشكالية تعانيها المجتمعات العربية، ولاسيما في دول الراديكاليات التي استعارت التجربة السوفياتية وهي العلاقة الملتبسة بين المثقف والسلطة، هو الذي يتصور نفسه قائداً في المجتمع، وهي تحاول تطفيف تأثيره ومن ثم تدجينه، بالترغيب أو الترهيب.

ترى لولا هذه المصادفة الجميلة أكنا عشنا وقائع تلك المحاكمة التي دونت وقائعها الكتابة الروسية فريدا فيغوروفا وإذ ينتبه القاضي إلى ذلك يمنعها من التدوين، فتنقل لنا بقية وقائع المحاكمة مما علق بذاكرتها، لكن من حسن حظ الحقيقة ان انتباهة القاضي جاءت متأخرة، فلقد دونت فيغوروفا، جلَّ وقائع هذه المحاكمة الشهيرة التي اطلع الناس عليها.

جوزيف برورسكي

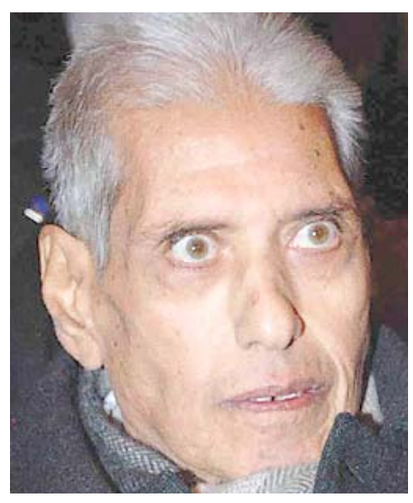
رجاء النقاش

شاكر نوري

وادي قنديل .. سيرة مكان وحياة وبلاد

وارد بدر السالم
بغداد

(1)

نسرين أكرم خوري روائية سورية من جيل جديد تشكل أثناء الحرب واكتسبت ملامحه هذه الصفة العامة في أدب جديد يختزل المعاناة السورية بطريقة لافتة ، وهذا يعني أنه جيل لامس وعاش أكثر التفصيلات ألماً وكارثية وهو يرى البلاد تتمزق لسنوات غير قليلة في مواجهات مسلحة متعددة النوايا والوجوه ويعيش يوميات مريرة يكتنفها الرعب والخوف من المجهول. وبالتالي شأنها شأن الكثيرين من جيل الحرب السردي الذي ينهض في سوريا اليوم ويواكب الحرب عن قرب ويتفحص سردياتها المؤلمة ؛ وهو جيل نحسب أنه ليس عابراً في المشهد الأدبي السوري ، كونه ولادة طبيعية لفعل الحرب ونتائجها وإفرازاتها وانعكاساتها السيكولوجية والاجتماعية وما تركته من عُقد كثيرة على المستويات الفردية والجماعية. ويقيناً فالروائية الشابة نسرين خوري انعكاس سردي لتلك المساحة المأهولة بالدمار والخوف والرصاص والموت.

(2)

(وادي قنديل) روايتها الأولى (بعد مجموعتها الشعرية الأولى– بجرّة حرب واحدة) وهي الرواية التي فازت بمنحة مؤسسة المورد الثقافي الانتاجية وتبنّت طباعتها دار المتوسط – ايطاليا، أثبتت فيها نسرين أنها روائية أكثر من واعدة وأن تجربتها السردية تشي بذلك وموضوعتها الحساسة أدارتها بعمق ودراية وبأسلوبية فيها نضجٌ كثير وسيطرة حاذقة على الشكل الروائي الذي عبأت فيه مكونات السرد من شخصيات وزمان ومكان وحواريات بطريقة لافتة ، ساعدتها اللغة المتمكنة من أن تنشئ عالماً ليس فيه خيال بقدر ما فيه من واقع ، لكن جنحت فيه الى الخيال نسبياً لتحقيق الْتماس بين الخيالي والواقعي على أن تكون حمص هي المدينة – المكان المختار لتوطيد وقائع الحرب في انعكاسات زمنين : ماضٍ ومستقبل من دون المرور بالحاضر الا لكونه وعاءً زمنياً مكتظاً بالحرب والفوضى والواقع المستحيل. لكنه يبقى الممخضة المنتجة للشخصيات والمواقف والأحَداث التي يمكن استثمارها بطريقة فنية وهذا ما فعلته نسرين في أول تجربة روائية لها. فالحاضر الروائي مغيّب الى حد كبير بقصدية فنية ، لكنه ينتج زمنين متضادين في سيرورتهما هما الماضي والمستقبل ، وكلا الزمنين يبدوان في لعبة الرواية شاخصين ويؤسسان لسردية اجتماعية قبل وبعد الحرب.

(3)

الخيالي في وادي قنديل هو المستقبل، وهو زمن افتراضي سردي حيث تذهب الكاتبة الى عام 2029وتعود الى الماضي عبر مخطوطة مذكرات لكاتبة اسمها " غَيم حداد" لتكشف الكثير من حكايات المدن السورية قبل وبعد الحرب في مزاوجة بارعة لاستدراج الماضي عبر شخصياته البسيطة (مخُول – ابو وليم – جنى الصباغ– حنان النعمة– انس رحيم ...) وهي شخصيات ستبدو هامشية في الحياة العامة ، لكنها ليست هامشية في المتن الروائي كونها تثري المتن وتمدّه بالكثير من الكمال والجمال وتؤسس مذكرات الكاتبة غَيم كنسق اجتماعي لابد منه لترسيم صورة مجتمع متعدد الأديان والطوائف واللهجات في فسيفساء سورية تاريخية، ولأنها كانت معنية بتصوير الحياة اليومية قبل الحرب وبعدها لتقديم شهادة ناضجة عن الحياة الاجتماعية عبر تلك الشخصيات البسيطة غير المؤثرة في سلوكها اليومي كهوامش تغذي الحياة ، لكن تلك الهوامش الصغيرة تشكلت مع الرواية كنسيج واحد وأغنت المتن الروائي في وادي قنديل (وهو مكان افتراضي) وفي محليّة أليفة يرى القارىء أنه يعرف مثل تلك الشخصيات قبل أن تبتلع الحرب بعضها ، وقبل أن تغير الحرب يوميات الناس في حلب والشام وسائر المدن السورية. حتى وإن لم يكن يعرف وادي قنديل فهو مكان وهمي تنطلق منه العنونة مثلما تنطلق منه ثريا باحثة عن جذورها السورية وكما سيأتي.

(4)

المستقبل في الرواية هو سرد الماضي وهذه مفارقة روائية طريفة ومؤلمة في الوقت ذاته، ومثل هذه المفارقة الزمنية البعيدة كانت لها ضرورتها الفنية ، حيث تعود الراوية "ثريا" الى سورية بحثاً عن ذكرياتها القديمة التي لا يمكن أن تتذكرها ؛ وهي الناجية الوحيدة (بمعجزة) من غرق مركب (في الخامسة من عمرها) فانتشلها ساحل لارنكا القبرصي وتبنتها "ماما ساتي" التي أصبحت أمها ، وتبدأ ثريا رحلتها من مكان افتراضي هو "وادي قنديل" ومن مقبرة تبدأ السردية الروائية في لحظة كابوسية تعي اليها صلة الماضي على نحو شاحب ؛ وعندما تعثر على مذكرات كاتبة سورية اسمها " غَيم حداد" تجد الكثير مما تجهله عن الحياة السورية قبل وبعد الحرب وتتعرف على شخصيات مختلفة البيئات والانتماءات، فتندمج مع تلك الحياة المغيّبة عنها وتتآلف مع جذرها السوري الذي انقطعت عنه بعد غرق المركب وهي في الخامسة من عمرها ، لتتشكل فيها ذاكرتان واحدة قبرصية وأخرى سورية ، وتستدرج الكاتبة بذكاء عبر مخطوطة المذكرات الكثير من الحياة اليومية السورية كأنها كتبتها لجيل ضاع أو غرق أو هاجر أو غيبته الحرب قسراً، وتكمن أهمية الشخصيات العابرة أن الكاتبة جمعتهم في مكان له خصوصية محلية مع خليط هوياتهم وطوائفهم الدينية ولهجاتهم اليومية ، لتوطيد صلاتهم بالمكان وذاكرته قبل أن تمسخه الحرب وتعيد تشكيله على أسس ما بعد الحرب التي لا يعرف أحد كيف ستكون. وبذلك قدمت الكاتبة غَيم حداد شهادة صريحة على النقاء القديم الذي مثلته شخصيات هامشية في الحياة قبل الحرب بعفويتها وجمال أرواحها وألفتها الاجتماعية الحميمة.

(5)

تشكل المخطوطة – المذكرات ثيمة سردية مهمة كذاكرة مكان حرصت أن يبقى شاخصاً على مدار الرواية بصوتين؛ الأول صوت ثريا الباحثة عن سوريتها الغريقة في لارنكا القبرصية ، والثاني صوت المخطوطة الذي مثلته كاتبة سورية هي غَيم حداد التي وثقت المكان بطريقتها السلسة الممتعة وهي تتناول شرائح اجتماعية حرصت أن يكونوا في صدر المذكرات بإحساس كاتبة حاولت ونجحت في إبقاء الحياة السورية المحلية بين سطورها قبل أن تحرقها الحرب ، في لعبة سردية دقيقة بين كاتبتين إحداهما نسرين ذات الصوت السارد الباحث عن الحقيقة الروحية والجمالية مهما كانت الظروف ، والأخرى غَيم ذات الصوت المتواري خلف المذكرات ليندمج الصوتان معاً في سيرة مكان وحياة وبلاد. ومن هنا تبدأ افتراضية وادي قنديل في رحيل ورحيل مضاد بصورة جميلة تخلصت من المباشرة التي يلجأ اليها هواة الكتابة فانتمت الى وقائع الحرب بشكل لكن من دون تهويل أو مغالاة ، لتنتج رواية حرب متقدمة لا تسمع فيها ولا صوت رصاصة واحدة ، لكن الإيعازات السردية المتنامية داخل السرد ستعطي إشارات واضحة بأن الحرب قائمة (لولا الشرفة المهدمة والدمار ..) (قبل أن أخرج صباحاً، وصلنا خبر تهدم بيتنا في حلب..) (فتحت أزرار قميصي وصرخت بهم : هيا صوبوا عليّ يا أوغاد ..) (لولا الحرب لكانت هذه الممرضة حلقة جميلة تكمل السلسلة ..) (البرد اشتد والكهرباء مقطوعة ..) (النجاة الفردية لا تكون مبررة أبداً حين تصعد درجاً من جثث وأنقاض بيوت ومجاعات..)

وهكذا تمتلئ الرواية بمثل هذه الإشارات بعيداً عن لغة الحرب المباشرة لتكتسب وادي قنديل جماليات السرد السوري بنسقه الشبابي الجديد.

غلاف الرواية

نسرين اكرم خوري